ما حقيقة القراءات العشر للقرآن الكريم؟

(مقتطف من كتاب أصول التفسير في خطوات تطبيقية)

إعداد
د سعيد إسماعيل صيني

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الاعتقاد بأن القرآن الكريم قد نزل من رب العالمين بالصورة التي هي عليها إلى يومنا هذا يعدُّ ركنا من أركان الإيمان، لا يجادل في ذلك أي مسلم أو مسلمة. وقد ثبتت هذه الحقيقة بوسائل الإدراك الحسية. فقد آمن الجيل الأول بمحمد، صلى الله عليه وسلم، رسولا بالأدلة المدركة حسا، حيث عايشوه وعرفوه قبل النبوة وبعد النبوة، وعايشوا أحداث نزول القرآن معه خطوة خطوة. وتوارثت الأجيال المتتابعة القرآن جيلا بعد جيل حِسًّا (سماعا وقراءة)، وسوف تتوارثه الأجيال القادمة بالطريقة الحسية نفسها إلى يوم الدين.(١)

فالقرآن الكريم وحي من الله، كان جبريل، عليه السلام، ينزل به من وقت لأخر، فيلقنه النبي صلى الله عليه وسلم، آية فآية. يقول تعالى عن أول لقاء لهما:{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ.}(٢) ويقول تعالى: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ.}(٣) ولقداسة نصوص القرآن كان لحالة تلقيه هيبة خاصة، يشعر بها النبي، صلى الله عليه وسلم. وهي حالة تختلف عن حالة إخبار جبريل النبي ببعض المعلومات التي هي ليست قرآنا. وبالطبع يختلف هذان النوعان عن الإلهام الذي يُنعم الله به على من يشاء من عباده، في أي وقت يشاء.

والقرآن بصفته أثمن جزء من التراث الإسلامي أوجد له علماء السلف منهجا متميزا في الحفاظ على أصالته. فنصوص القرآن الكريم تشترط التواتر لفظا ومعنى؛ أما نصوص السنة فيختلط فيها اللفظ البشري مع اللفظ المقدس. و"المخطوطات" هي مؤلفات بشرية؛ وأما الروايات التاريخية فهي تسجيل بشري لأنشطة بشرية. فمن الواضح أن هذه المواد العلمية تختلف من حيث طبيعتها، ومن حيث أهميتها. لهذا يحتاج كل واحدة منها منهجا يناسب طبيعتها، وأهميتها، من حيث الدقة والصرامة في الفحص، تتدرج بين الدقيقة جدا إلى أدنى درجات الدقة.

ولو مثلنا لعملية التحقق بشيء محسوس سنجد أن المنخل أو الغربال هو أفضل ما يمثلها. والغرابيل أنواع، من حيث دقتها وصرامتها في تمرير المادة المنخولة. وهي في حالة التراث الإسلامي تتدرج بين طرفين، أحدهما يعتمد على النقل بصرامة، والآخر يتحكم فيها العقل الذي ميز الله به الإنسان:

دقيق وصارم ----------:----------:----------:---------- متساهل
القرآن السنة المخطوطة الرواية التاريخية

(١) العبيد، ص ٨-٩، ينقل قول البزدوي وأبي حنيفة وابن تيمية.
٢) سورة العلق: ١-٥.
٣) سورة القيامة: ١٦-١٩.

فمنهج علماء القراءات مناسب لنصوص القرآن الكريم، ومنهج المحدثين مناسب للأحاديث النبوية، ومنهج تحقيق المخطوطات والوثائق مناسب للمخطوطات والوثائق البشرية، ومنهج المؤرخين مناسب للروايات التاريخية.

فمثلا لو طبقنا منهج التحقق من قراءات القرآن الكريم على الأحاديث النبوية لما سلم منها سوى حديث واحد، تنطبق عليه صفة التواتر لفظا ومعنى.(٤) أما بقية السنة النبوية، فبالنسبة لهذا المنهج هي من "الشوائب"، غير معترف بها رسميا، وكأنه لا وجود لها. وهذا يعني أنه لا تعاليم ولا أحكام تفصيلية قابلة للتطبيق في الإسلام إلا في حدود ضيقة جدا. وإذا طبقنا منهج المحدثين على المخطوطات البشرية فإننا سننكر وجود كثير منها، وذلك لأن الكتب المخطوطة لا تحظى –عادة- بالرواية على نطاق واسع، مثل الأحاديث النبوية. ثم هي أعمال بشرية ليست منشورة على نطاق واسع، فيسهل انتحال الكثير منها، ويصعب التحقق من مصداقيتها.

القرآن والتواتر لفظا ومعنى؟

قد يكون من المناسب الوقوف على بعض الحقائق قبل الحديث عن تواتر القرآن لفظا ومعنى، ومنها: كيف تتميز عملية فحص مصداقية نصوص القرآن الكريم عن عملية فحص مصداقية الأنواع الأخرى من التراث المنقول إلينا من الماضي؟ وما وظيفة العقل، مقارنة بالنقل، وأيهما أسبق؟ وهل العقل هو الذي ينشئ قواعد التأكد من مصداقية آياته؟ أم أنه يكتشفها فحسب؟

مناهج التحقق من تراث الماضي:

عند الحديث عن مناهج أو قواعد التحقق من مصداقية النصوص والأخبار الماضية يجب أن يتنبه الباحث إلى حقيقة بدهية، وهي ضرورة التفريق بين طبيعة المادة العلمية ومناهجها. فهل هي نصوص القرآن الكريم التي تشترط التواتر لفظا ومعنى؟ أو هي نصوص السنة التي يختلط فيها اللفظ البشري مع اللفظ المقدس؟ أو هي كتابات بشرية في صورة مخطوطة؟ أو هي روايات تاريخية عن أنشطة بشرية؟ فهذه المواد العلمية تختلف من حيث الطبيعة، ومن حيث الأهمية. ولهذا تحتاج كل واحدة منها منهجا يناسب طبيعتها، وأهميتها، من حيث الدقة والصرامة في الفحص، تتدرج بين الدقيقة جدا إلى أدنى درجات الدقة.

ولو مثلنا لعملية التحقق بشيء محسوس سنجد أن المنخل أو الغربال هو أفضل ما يمثلها. والغرابيل أنواع، من حيث دقتها وصرامتها في تمرير المادة المنخولة، وهي في حالة التراث الإسلامي تتدرج بين طرفين:

دقيق وصارم ----------:----------:----------:---------- متساهل

القرآن السنة المخطوطة الرواية التاريخية

فمنهج علماء القراءات مناسب لنصوص القرآن الكريم، ومنهج المحدثين مناسب للأحاديث النبوية، ومنهج تحقيق المخطوطات والوثائق مناسب للمخطوطات والوثائق البشرية، ومنهج المؤرخين مناسب للروايات التاريخية.

---

٤) صيني، منهج أبحاث المحدثين، درجة المتواتر.

نعم، هناك صفات تشترك فيها جميع هذه المناهج، ولكن هناك صفات يشترك فيها بعضها فقط. وهناك صفات ينفرد بها كل واحد منها. وكثيرا ما يغفل عن هذه الحقيقة حتى المتمرسون في مناهج الأبحاث التحقيقية، أو المتشدقون بها نظريا. فعملية التحقق درجات متفاوتة من حيث الدقة والصرامة.

فمثلا لو طبقنا منهج التحقق من قراءات القرآن الكريم على الأحاديث النبوية لما سلم منها سوى حديث واحد، (٥) تنطبق عليه صفة التواتر لفظا ومعنى. أما بقية السنة النبوية، فبالنسبة لهذا المنهج هي من "الشوائب"، غير معترف بها رسميا، وكأنه لا وجود لها. وهذا يعني أنه "لا تعاليم ولا أحكام تفصيلية قابلة للتطبيق في الإسلام إلا في حدود ضيقة جدا. وإذا طبقنا منهج المحدثين على "المخطوطات البشرية" فإننا سننكر وجود كثير منها، وذلك لأن الكتب المخطوطة لا تحظى –عادة- بالرواية على نطاق واسع، مثل الأحاديث النبوية؛ وهي أعمال بشرية ليست منشورة على نطاق واسع، فيسهل وضع الكثير منها وانتحالها.

وإذا طبقنا منهج المحدثين على الأحداث التاريخية، فإننا نضطر إلى إنكار وجود جل التاريخ الإسلامي. أما الأحداث التاريخية لغير المسلمين فتعد غير موجودة، إلا النزر اليسير مما ورد في الكتاب والسنة، وإن كنا نغرق في أحضان منتجاتهم. فالأحداث التاريخية هي أنشطة لبشر، ربما لم يثيروا الانتباه إلا بعد وفاتهم بسنين أو بقرون، وليست كأفعال النبي صلى الله عليه وسلم، وأقواله وإقراراته. فهي تحت المراقبة من أصحابه ، وهي نماذج للاقتداء بها، واعتنى المحدثون بحفظها والعمل على تنقيتها بصورة مستمرة.

ومسألة التفريق بين طبيعة المادة العلمية ومنهج حفظ النصوص وتحقيقها مسألة قديمة، فقد كان النبي، صلى الله عليه وسلم، يأمر بكتابة آيات القرآن الحكيم، ولكن كان يقول: "لا تكتبوا عني شيئا سوى القرآن؛ ومن كتب عني شيئا غير القرآن فليمحه". كما كان يقول بالنسبة لقصص اليهود والنصارى "لا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون."(٦). ولهذا من الطبيعي أن يتشدد علماء الحديث في الأسانيد عندما يتعلق الأمر بأحاديث الأحكام، ويتساهلون في غيرها، مثل أحاديث الفضائل والمغازي. وفرّق كثير من المفسرين بين أسانيد تفسير آيات الأحكام، وأسانيد تفسير آيات الأخبار.(٧)

العقل أو النقل أسبق؟

يتردد قول شائع يقول "النقل يسبق العقل"، ولكن هل هذا صحيح مطلقا؟ من المعلوم أن منهج التحقق الإسلامي يركز على نقد السند، أي درجة كفاءة الرواة واتصال سلسلتهم، ولكنه قد يلجأ إلى نقد المتن أيضا، أي استخدام العقل في نقد مصداقية التراث الموروث، لأن التراث الإسلامي ليس كله منزل من رب العالمين

---

٥) صيني، منهج أبحاث المحدثين، درجة المتواتر.

٦) النيسابوري، المستدرك ج١: ٢١٦؛ أحمد، مسند ج ٣: ٢١.

٧)الطريفي، التقرير. ص ١٤-١٦، ٢٨-٣٢.

لفظا ومعنى. فجزء منه يختلط فيه اللفظ المقدس وغير المقدس، أي السنة النبوية التي تتألف من أقوال للنبي، صلى الله عليه وسلم، وأفعال وتقريرات يرويها أصحابه. وجزء منه بشري محض، أي روايات بشرية لأحداث بشرية.

فعلماء قراءات القرآن الكريم يحرم عليهم استخدام نقد المتن مع نصوص القرآن الكريم لأنه لفظا ومعنى من الله. فبعض الحقائق الجزئية والعامة التي وردت في القرآن الكريم يصعب أو يعجز الفهم البشري عن إدراكها واستيعابها. وقد يدركها إذا نمت الاكتشافات العلمية وتطورت.

وليس أمام علماء القراءات سوى نقد السند (النقد الخارجي) وهو النقد الذي يقود إلى أعلى درجات مصداقية النص، أي نسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإلى الله، سبحانه وتعالى. فنصوص القرآن الكريم تمثل أعلى درجات النص المتواتر، الذي ينقسم إلى نوعين: متواتر باللفظ والمعنى، ومتواتر بالمعنى فقط. فالنوع الأول يعني أن البشر لم يتدخلوا في نصه بإضافة أو حذف أو تعديل، سواء من حيث اللفظ أو المعنى.(٨) فنسبته إلى الله خالصة، لا تشوبها شائبة. ولكن من يحدد ذلك؟ إنه العقل البشري الذي ميّز الله به الإنسان الذي علمه ما لم يعلم. وهنا يبرز سؤال: أيهما أسبق من حيث الترتيب الزمني: العقل أم النقل؟

إذا علمنا بأن العقل البشري، استنادا إلى إدراكه الحسي، هو الذي يحدد مصداقية نسبة النص إلى الله ودرجته فإننا ندرك أن العقل أسبق من النقل، ولكن إذا ثبتت نسبة النص القرآني إلى الله بصورة قطعية، فلا يمكن للعقل تجاوزه، وتقتصر وظيفته على بذل الجهد في فهمه، والإيمان به كما هو. ويكفي أن نستعرض قصة نقل عرش بلقيس من اليمن إلى القدس خلال طرفة عين. وذلك لأن النقل مصدره خالق الكون الذي خلق كل شيء ويعلم كل شيء. وأما العقل البشري فهو محكوم بحواسه المحدودة التي يدرك بواسطتها الواقع ويستنتج منه. وهنا نتساءل ما هي وظيفة العقل بالنسبة لقواعد التحقق من النصوص المقدسة أو مقاييسها؟ هل هو إيجادها من العدم؟ أم اكتشافها من الطبيعة والواقع الموجود؟

هل ينشئ العقل قواعد التحقق؟

عند التأمل نجد أن الله خلق كل شيء ب"كن فيكون" ويديره كذلك، وخلق شبكات من السنن الكونية تُخلق بصورة مستمرة وتدير الكون بإذنه تعالى. يقول تعالى مثلا: {اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ **وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ**}. ولا تقتصر السنن الكونية على التحكم في الأشياء المادية، كما يتبادر إلى الذهن، ولكن في السلوك البشري أيضا. فمثلا يقول تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}.(٩) فهناك سنة كونية تقضي بأن لا يَحدث تغيير في حياة الإنسان إلا أن يُحدث الإنسان تغييرا، في حدود مجال اختياره من الأسباب ذات النتائج الحتمية.(١٠)

---

٨) صيني، منهج أبحاث المحدثين، الفصل الرابع.

٩) سورة الرعد: ٨، ١١.

١٠) إسماعيل، كشف الغيوم؛ صيني، تساؤلات جدلية، الفصل الثاني.

وبعبارة أخرى، لا يُوجِد العقل البشري القواعد والمقاييس من العدم، ولكنه يكتشفها بدرجات متفاوتة من الإتقان. فمنها ما تصل درجة إتقانه إلى ما نسميه بالقوانين الطبيعية أو السنن الكونية. ومنها ما لا يتجاوز إتقانه ما نسميها "فرضيات" أو درجة أكثر إتقانا نسميها "نظريات".(١١) وهو الغالب في مجال العلوم الإنسانية التي تتعامل مع المكونات البشرية غير المادية (غير العضوية): التكوين الروحي، والعقلاني، والعاطفي. فالمكونات الثلاثة الأخيرة لا تخضع للتجارب العلمية الحسية المباشرة، وهي تتفاعل مع الواقع ويؤثر بعضها على بعض بطرق هي في غاية من التعقيد، يصعب رصدها والتنبؤ بنتائجها، إلا في حدود نسبية. ووظيفة العقل هي اكتشاف هذه السنن الكونية التي تتحكم في فكر الإنسان وسلوكه. فمن المعلوم أن وظيفة العقل البشري تتمثل في: (١٢)

١) إدراك الحقائق الجزئية والعامة (معلومات جاهزة، أو تجارب شخصية)
٢) تجميعها مستقلات أو مصنفة في مجموعات،
٣) حفظها أو تسجيلها،
٤) نشرها أو ترديدها،
٥) تنقيحها أو تطويرها،
٦) الاستنتاج منها: إما باستقراء مجموعة من الحقائق الجزئية لاكتشاف السنن الكونية، بدرجات متفاوتة من الإتقان، أو الاستنباط من حقائقها العامة لتطبيقها في الواقع. ومثالها الاستنباط من الكتاب والسنة للخروج بأحكام شرعية قابلة للتطبيق.

منسقة: تعدادات نقطية ورقمية

وسائل حفظ القرآن لفظا ومعنى؟

نعم، يقول تعالى {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ.}(١٣) فنحن نؤمن بأن القرآن الكريم من الله سبحانه وتعالى لفظا ومعنى؛ وأنه هو القادر على حفظه، ونؤمن بأنه محفوظ من التحريف. وعند استعمال مصطلح المحدثين نؤكد بأنه يمثل أعلى درجات المصداقية في نسبته إلى الله سبحانه وتعالى، أي أنه متواتر لفظا ومعنى. وهذه الدرجة لا يحظى بها إلا حديث نبوي واحد، كما سبق بيانه.(١٤)

بيد أنه ثبت، أيضا، عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله، رحمة بعباده، أذن بالتعدد في طريقة قراءة بعض أحرفه أو كلماته، سواء أكانت مستقلة أو عند وصلها بأخرى. قال رسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "أَقْرَأَنِي جبْرِيلُ على حرْفٍ فرَاجَعْتُهُ فلم أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ ويَزِيدُنِي حتى انْتَهَى إلى سبْعَةِ أَحْرُفٍ". ويؤكد هذه الحقيقة قول عمَرَ بن الخَطَّابِ سمعت هِشَامَ بن حَكِيمٍ يَقرَأُ سورَةَ الْفرْقَانِ في حيَاةِ رسول اللهِ، صلى الله عليه وسلم، فَاستَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ فإذا هو يَقرَأُ على حروف كَثِيرَةٍ لم يُقْرِئْنِيهَا رسول اللهِ،

---

١١) صيني، قواعد أساسية الفصل الثاني.
١٢) انظر مثلا: صيني، قواعد أساسية في البحث ص ٣٧-٤٤، ٧٩-٩٣.
١٣) سورة الحجر: ٩.
١٤) انظر مثلا: ابن الصلاح ص ٢٤١-٢٤٢؛ الكتاني ٩-٢٤؛ صيني، منهج أبحاث المحدثين، الفصل الثالث.

صلى الله عليه وسلم، فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ في الصّلَاةِ فَتَصَبَّرتُ حتى سلَّمَ. فَلَبَّبْتهُ بِرِدَائِهِ فقلت: من أَقرَأَكَ هذه السّورَةَ التي سَمِعْتُكَ تَقرَأُ؟ قال أَقْرَأَنيهَا رسول اللهِ، صلى الله عليه وسلم. فقلت: كَذَبتَ، فإن رَسولَ اللهِ، صلى الله عليه وسلم، قد أَقْرَأَنيهَا على غَيرِ ما قَرَأتَ. فَانطَلَقْتُ بِهِ أَقودُهُ إلى رسول اللهِ، صلى الله عليه وسلم، فقلت: إني سمعت هذا يَقرَأُ بِسورَةِ الْفرْقَانِ على حروف لم تقْرِئْنِيهَا. فقال رسول اللهِ، صلى الله عليه وسلم، أَرْسِلْهُ. اقرَأْ يا هِشَامُ: فقَرَأَ عليه الْقِرَاءَةَ التي سمعته يَقرَأُ. فقال رسول اللهِ، صلى الله عليه وسلم، كَذَلِكَ أنْزِلَتْ. ثمَّ قال: اقرَأْ يا عمَرُ. فَقَرَأتُ الْقِرَاءَةَ التي أَقْرَأَني. فقال رسول اللهِ، صلى الله عليه وسلم، كَذَلِكَ أنْزِلَتْ. إنَّ هذا الْقرْآنَ أنْزِلَ على سَبعَةِ أَحْرفٍ، فاقرؤوا ما تيَسَّرَ منه.(١٥) والسؤال: ما المقصود بسبعة أحرف؟

المقصود بسبعة أحرف:

قد يتساءل الإنسان عن موضوع نزول القرآن على سبعة أحرف، والقراءات العشر المعتمدة. هناك تفسيرات متعددة، ولكن يظهر من استقراء الكتابات حول الموضوع أن عبارة "أنزلت على سبعة أحرف"(١٦) تعني جواز تلاوة القرآن الكريم بلهجات متعددة من لهجات اللغة العربية واسعة الانتشار، حينها. ومن المعلوم أن اللغات يختلف بعضها عن بعض، باختلاف مفردات التعبير، سواء أكانت أسماء أو أفعال أو أحرف، مع وجود احتمال الاشتراك في بعض المفردات والتركيبات اللغوية الأساسية، وإن اختلفت في التفاصيل. وتتولد المفردات المشتركة بين اللغات عادة بسبب الاستيراد والتصدير، فالإنسان كائن اجتماعي حريص على التعارف والاختلاط بالآخرين. وأما اللهجات المتفرعة عن اللغة الواحدة، فالاختلافات بينها تتركز على طريقة النطق لبعض الأحرف، مثل الإدغامات والمدود وطريقة الوقف، وإمالة بعض الأحرف عند نطقها... وذلك إضافة إلى بعض المفردات المحدودة التي تختلف مدلولاتها من لهجة إلى أخرى، أو تنفرد بها لهجة عن غيرها.(١٧) وعلى وجه العموم، فإن أصل اللغة أو اللهجة أصوات متنوعة تظهر في شكل أحرف أو كلمات منطوقة في البداية، ثم يتم رسمها بدرجات متفاوتة من الإتقان، قابلة للتطوير.

ويقول ابن الجزري " والعرب يطلقون لفظ السبع والسبعين والسبعمائة، ولا يريدون حقيقة العدد، بحيث لا يزيد ولا ينقص. بل يريدون الكثرة والمبالغة من غير حصر". فمن الواضح أن رقم سبعة ومضاعفاتها لها حكمة ربانية لا نعلمها. ومن أمثلة هذه الاستعمالات، قوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ}، و{وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ}، و{وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ. لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ}.(١٨) ومما يدل على أنها ومضاعفاتها يُقصد بها الشمولية قوله تعالى: {إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ}، وقوله تعالى {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ

---

١٥) صحيح البخاري ج ٣: ١١٧٧ ، ج٤: ١٩٠٩.
١٦) انظر مثلا: إسماعيل، القراءات ص ٣٧-٥٤.
١٧) جعفر، القرآن ص ٤٠٦- ٤٣٥.
١٨) سورة الحجر: ٤٣-٤٤.

أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ}.(١٩)

تواتر القرآن لفظا ومعنى والسنة:

من المعلوم أن النص المتواتر لفظا ومعنى يعني أن النص بلفظه ومعناه قد روته مجموعة من الثقات الضابطين، ونقلوه إلى مجموعة من الثقاة الضابطين ... إلى أن يصل إلى آخر مجموعة من الرواة، إلى يوم الدين.(٢٠)

وقبل الدخول في تفاصيل موضوع تواتر القرآن الكريم، ينبغي التنبه إلى بعض الحقائق الرئيسة، ومنها:

أولا – وعد الله بحفظ القرآن وأصالته، وحسب اصطلاح المحدثين يعني هذا ضمان التواتر لفظا ومعنى. وأرسل نبيه محمدا، صلى الله عليه وسلم، رحمة للعالمين، ومن مقتضياته التيسير في قراءة القرآن مع الحفاظ على أصالته.

ثانيا - تختلف طبيعة القرآن الكريم، وطبيعة السنة النبوية، من أوجه:

١. قدسية ألفاظ القرآن الكريم تختلف عن قدسية ألفاظ السنة. فمثلا نحن نتعبد بتلاوة القرآن الكريم، وإن كان بدون فهم لمعانيه ولكن بأقل درجات التجويد، أي لا يشترط على القارئ المسلم معرفة العربية لينال الثواب الموعود به. وليس للحديث هذه الميزة.
٢. جميع المسلمين مطالبون بحفظ بعض نصوص القرآن الكريم، بالغيب، لأنهم مطالبون بقراءته في الفروض الخمس، وإن كانوا لا يفهمون العربية. وليست تلاوة السنة واجبة، ولاسيما على من لا يفهمونها.
٣. يقسم المحدثون الأحاديث النبوية إلى درجات متفاوتة في المصداقية: المتواتر لفظا ومعنى، وإلى المتواتر بالمعنى، والصحيح، المشهور، والحسن، والضعيف، والشاذ. وهذه التصنيفات لا تنطبق على نصوص القرآن الكريم.(٢١) فنصوص القرآن إما أنها من كلام الله، ثبت بالتواتر، أو أنها قراءة مُرخّص بها، ثبتت بالتواتر؛ أو هي قراءة مرفوضة. وأما الجدل الدائر حول اعتماد "القراءات الشاذة" كجزء من اللغة العربية، فمسألة مختلفة. فاللغة العربية كغيرها من اللغات كائن حي مستمر في النمو، وفي التغير بدرجة أقل من غيرها؛ وأما نصوص القرآن الكريم فهي كلام الله ثابتة، لا يعتريها التغيير والتبديل.(٢٢)
٤. يشترط المحدثون تصنيف الحديث النبوي في درجة المتواتر لفظا ومعنى أن تروي مجموعة من الثقات معلومين عن مجموعة من الثقات

---

١٩) ابن الجزري، النشر ج١: ٢٦.

٢٠) انظر مثلا: صيني، منهج أبحاث المحدثين، درجة المتواتر.

٢١) ابن الجزري، النشر ص ٩-١٧؛ إسماعيل، القراءات ص ٩١-٩٣؛ جعفر، القرآن ص ٤٧١-٥١٥؛ ويلاحظ على تعريف المتواتر"

بأنه ما رواه جمع عن جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب" فيه نظر، وذلك لأن العبرة بدرجة الثقة وتعدد الرواة، وليس عددهم. انظر صيني، منهج أبحاث المحدثين، الفصل الثاني.

٢٢) سالم، القراءات ص ٥٥-٦٣، والمراجع التي اعتمد عليها.

معلومين إلى أن يصل سنده إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، ألفاظا بعينها. أما بالنسبة للقرآن الكريم فكثير من ثقات المسلمين يحفظون القرآن كله أو بعضه، وينقلونه إلى الآخرين وكثير منهم ثقاة. وبعبارة أخرى، فإن شرط نقل مجموعة من الثقات القرآن إلى مجموعة أخرى مضمون بصورة تلقائية، لا يشترط رواة محددين. والقراءات المعتمدة قراءات شائعة، يوجد من الصحابة والتابعين من يتقنها كلها أو جزءا منها، فلا نحتاج إلى معرفة القراءة المروية بصورة محددة بين مجموعتين من الثقات.

وسائل حفظ القرآن قراءةً:

لقد وعد الله بحفظ القرآن من التحريف، وتمت كتابته في حياته، صلى الله عليه وسلم، ثم تم جمعه في مجلد واحد بعد وفاته بعام تقريبا. ثم تم توحيده وتعميمه عام ٢٥ للهجرة، أي بعد ١٤ سنة فحسب من وفاة النبي، عليه الصلاة والسلام. أما الكتب المقدسة السابقة، فلم تحظ بهذا الوعد، فانحرفت بعض التعاليم الربانية، واختلط بعضها بالتعبيرات البشرية، واندس فيها بعض أخبار دعاة المسيحية، بعد وفاة عيسى، عليه السلام.(٢٣)

وكما أوردنا سابقا، تم حفظ القرآن الكريم كتابة في عهد النبي، صلى الله عليه وسلم، والوحي ينزل به. وتم حفظه رواية، أي سماعا من مجموعة من الصحابة، رضوان الله تعالى عليهم، إلى مجموعة أخرى من الصحابة، وإلى بعض التابعين بأسانيد متصلة. فكانت الرواية هي الوسيلة الوحيدة لنشره، ولتعلمه، خلال فترة لا تتجاوز نصف الجيل الواحد. وكان نقله إلى الآخرين واحدة من الوظائف الرئيسة التي قام بها الصحابة الذين انتشروا في كافة أنحاء الدولة الإسلامية، ومنهم من يحفظ القرآن كله.

فتم حفظ القرآن الكريم بألفاظه ونطقه في الذاكرة، وتم نقله بين الراوي والمتلقي بالرواية الشفوية المباشرة بينهما. ولهذا كان من الطبيعي أن يسند الله هذه الوسيلة بنظام تطبيقي، مثل الحث على حفظه بالغيب، وكثرة مراجعته، بصورة علنية، وسط جمهور يتفاوت عدده، وكمية ما يحفظه من القرآن، ودرجة إتقانه في التلاوة. ويتمثل هذا النظام الدوري: اليومي، والأسبوعي، والسنوي، الذي يقوم بوظيفة التحفيظ والنقل ونقاط "التفتيش" الصالحة للمجتمع الأمي، فيما يلي:

١. فرض قراءة بعض الآيات في الصلاة، سواء أكان المسلم يفهم العربية أو لا يفهمها. فالمسلم مطالب بأداء خمس صلوات يوميا، يقرأ فيها سورة الفاتحة وعدد من الآيات من ذاكرته. وجعل لحفظه غيبا أجرا كبيرا.
٢. جعل القراءة جهرا في ثلاث من الصلوات المفروضة يوميا، لتكون نقاط تفتيش دورية مكثفة، تقوم بوظيفة صمامات الأمان لاكتشاف الأخطاء ولضمان حفظ أصالة القرآن. فقد لا يحفظ أحد المصلين إلا

(٢٣) إسماعيل، مبادئ العقيدة بين الكتاب.

سورا معدودة، يتقنها، ويخطئ الإمام الذي قد يكون حافظا للقرآن كله، في لفظ منه، فيرد عليه، على مسمع من المصلين الآخرين، فيستفيد الإمام وبقية المصلين.

٣. أوجب صلاة الجمعة، وسن القراءة الجهرية في صلاة التراويح الجماعية وفي صلاة العيدين جماعة، وحث على صلاة التهجد، لتكون وسيلة أسبوعية وسنوية لحفظ القرآن.

٤. حث على كثرة تلاوة القرآن. يقول الله تعالى: {... **وَأُمِرْتُ** أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. **وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ**...}(٢٤) وثبت عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قوله: "إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا من مأدبته ما استطعتم... **اتلوه**. فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات. أما إني لا أقول ألم حرف، ولكن ألف ولام وميم."(٢٥) ومن الواضح أن الأمر "اتلوه" لا تعني ترديده، مجردا من أقل درجات التجويد. فالله سبحانه وتعالى يأمر بترتيله: {قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا. نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا. أَوْ زِدْ عَلَيْهِ **وَرَتِّلِ** الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا.}(٢٦) فالترتيل مطلوب، وإن لم تكن الصلاة فريضة. ومن المعلوم أن الحد الأدنى من الوقت لقراءة الجزء الواحد بالتجويد من الذاكرة يستغرق بين الثلث ساعة إلى الربع ساعة. وهذا يعني أن من يدَّعي ختم القرآن في ركعة واحدة معناه أنه وقف منتصبا "مصلوبا" حوالي سبع ساعات، على أقل تقدير، لأن المحافظة على وضع الخشوع مطلوب في الصلاة!

٥. جعل الاستشهاد بنصوص القرآن الكريم سنة في خطبة صلاة الجمعة الأسبوعية، وفي الدروس الدينية الشفوية والمكتوبة.

وقد يعجب من يزور المجتمعات المسلمة، غير العربية، من طريقة استفادة هذه المجتمعات من هذا النظام. فمثلا، هناك عادة في مساجد كثيرة في قرى الصين، يقرأ فيها المصلون أو بعضهم سورة بعينها لعدد من الأيام بطريقة منتظمة، عقب صلاة الفريضة. يقرأ الإمام أول السورة، ثم يقرأ أحد طلبة العلم أو أحد المصلين الآية التي تليها، ... إلى أن تكتمل السورة. فينتهي الأمر، بعد مدة، إلى أن يحفظ المصلون أو بعضهم السورة كلها أو جزءا منها، ويصبح قادرا، وإن كان أميا، على تصويب الإمام أو غيره إذا أخطأ فيها. وبعبارة أخرى، لم يجعل الله حفظ القرآن من التحريف مهمة خاصة بمجموعة من المتخصصين، في مثل حالة الأحاديث النبوية، ولكن جعله من مهمة جميع المسلمين البالغين جبرا، واختيارا، لكل من يحفظه أو يحفظ جزءا منه.

وعلى وجه العموم للحديث عن موضوع تواتر ألفاظ القرآن الكريم وقراءاته نحتاج إلى تقسيمه إلى عدد من المراحل التي مرت بها القراءات المعتمدة.

---

٢٤) سورة النمل : ٩١ –٩٢.

٢٥) الأصبهاني، المستدرك على الصحيحين ج١: ٧٤١؛ مسلم، صحيح مسلم ج١: ٥٤٩؛ الدارمي، سنن الدارمي ج٢: ٥٢٣.

٢٦) سورة المزمل: ٢-٤.

أصل القرآن ومصدره:

كان الوحي الخاص بالقرآن الكريم يتم بالتلقين شفويا، بصورة مباشرة بين جبريل والنبي، صلى الله عليه وسلم. وكما نقلها جبريل، عليه السلام، إلى محمد، صلى الله عليه وسلم، نقلها النبي إلى المئات من أصحابه البررة قراءة. وإضافة إلى ذلك كان يأمر بكتابة ما ينزل عليه بالوسائل المتوفرة، مثل الريشة والحبر والجزء العريض من جريد النخل، والعظمة المسطحة في أفخاذ الحيوانات، ورقائق الحجارة، والجلد، وربما بعض قطع الطين المحروقة. فالورق الخاص بالكتابة لم يكن متوفرا بالصورة التي توفرت فيما بعد.

يتكون القرآن الكريم من المعاني التي تظهر في هيئة سور، وآيات، وكلمات وأحرف. وليس هناك اختلاف في كون ترتيب آياته في السور توقيفي. وهناك نقاش حول ما إذا كان ترتيب سوره توقيفي، ولكن صاحب الإتقان أورد أقوالا لعدد من العلماء تؤكد بأن ترتيب الآيات والسور، أيضا، توقيفي.(٢٧)

وثبت عن ابن عبَّاسٍ، رضي الله عنهما، أنه قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم أَجْوَدَ الناس بِالْخيْرِ وأَجْوَدُ ما يكُونُ في شهْرِ رمَضَانَ، لِأَنَّ جبْرِيلَ كان يلْقَاهُ في كل لَيْلَةٍ في شَهرِ رمَضَانَ حتى يَنْسَلخَ، يَعْرِضُ عليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الْقرْآنَ..." وروى أبو هرَيْرَةَ، رضي الله عنه، أن جبريل كان يَعْرِضُ على النبي، صلى الله عليه وسلم، الْقرْآنَ كلَّ عامٍ مرَّةً فعَرَضَ عليه مَرَّتَينِ في العَامِ الذي قبِضَ فيه. وكان يَعْتَكِفُ كلَّ عامٍ عَشرًا فَاعتَكَفَ عشْرِينَ في العَام الذي قُبِضَ فيه.(٢٨)

وهنا يبرز سؤال يحتاج إلى إجابة منطقية. لقد راجع النبي، صلى الله عليه وسلم، القرآن مع جبريل، عليه السلام، مرتين، بعد نزول القرآن بأكمله، في آخر رمضان للنبي، صلى الله عليه وسلم، أي أن المراجعة كانت متتابعة، فأي الاحتمالات أقرب للعقل:

١- راجعه حسب ترتيب نزول القرآن؟
٢- راجعه حسب ما يخطر في ذهن جبريل أو النبي من السور؟
٣- راجعه حسب الترتيب التوقيفي للآيات وللسور؟

إن الإجابة الطبيعية تجزم بأن النبي، صلى الله عليه وسلم، كما كان يرشد كُتّاب الوحي إلى ترتيب آياتها في السور كان يرشدهم، أيضا، إلى ترتيب السور.

جمع القرآن في مجلد واحد:

يقول زَيدَ بن ثَابتٍ الْأَنْصَارِيَّ رضي الله عنه، الذي كان يَكْتبُ الوَحْيَ للنبي، صلى الله عليه وسلم،: أَرسَلَ إليّ أبو بَكرٍ، بعد مَقتَلَ أَهلِ اليَمَامَةِ وَعنْدَهُ عمَرُ، فقال: إنَّ عمَرَ أَتَاني فقال إنَّ القَتْلَ قد استَحَرَّ يوم اليَمَامَةِ بالنَّاسِ وَإِنِّي أَخشَى أنْ يَسْتَحرَّ الْقتْلُ بِالْقُرَّاءِ في الْمَوَاطِنِ، فيَذْهَبَ كَثيرٌ من الْقُرْآنِ إلا أنْ تجْمَعُوهُ، وَإِنِّي لأَرَى أنْ تجْمَعَ القُرْآنَ. قال أبو بكْرٍ قلت لعُمَر: كيْفَ أفْعَلُ شيئا لم يفْعَلْهُ رسول اللهِ، صلى الله عليه وسلم؟ فقال عُمرُ هو والله خيْرٌ. فلم يزَلْ عُمرُ يُرَاجعُنِي فيه حتى شرَحَ الله لذَلِكَ

---

٢٧) السيوطي، الإتقان ج١: ١٦٩- ١٧٤؛ جعفر، القرآن والقراءات ٣٦-١٥٦.
٢٨) البخاري، صحيح البخاري ج٤: ١٩١١؛ العسقلاني، فتح الباري ج ٩: ١٥.

صَدْري، ورَأَيْتُ الذي رأَى عُمرُ. قال زيْدُ بن ثَابتٍ وعُمَرُ عنْدَهُ جَالسٌ لا يتَكَلَّمُ. فقال أبو بَكرٍ إنّكَ رجُلٌ شابٌّ عاقِلٌ، ولا نتَّهِمُكَ، كُنتَ تَكتُبُ الوَحْيَ لِرسُولِ اللهِ، صلى الله عليه وسلم، فتَتَبَّعْ القُرْآنَ، فَاجمَعْهُ. فوَاللَّهِ لو كلَّفَنِي نَقلَ جبَلٍ من الجِبَالِ ما كان أَثْقَلَ علَيَّ مِمّا أَمَرَنِي بِهِ من جَمعِ القُرْآنِ، قلت كَيفَ تَفعَلَانِ شيئا لم يَفعَلْهُ رسول الله، صلى الله عليه وسلم؟ فقال أبو بَكرٍ. هو والله خَيرٌ. فلم أَزَلْ أُراجِعُهُ حتى شرَحَ الله صَدرِي لِلّذِي شرَحَ الله له صَدرَ أبي بَكرٍ وعُمَرَ، فَقُمتُ فَتَتَبَّعتُ القُرْآنَ أَجمَعُهُ من الرِّقاعِ وَالأَكْتَافِ وَالعُسُبِ وصُدُورِ الرِّجالِ حتى وَجَدتُ من سُورةِ التَّوبَةِ آيَتَينِ مع خُزَيمَةَ الأَنْصَارِيِّ لم أَجِدهُمَا مع أَحَدٍ غَيرِهِ {لقد جاءَكُمْ رسُولٌ من أَنفُسِكُمْ عزِيزٌ عليه ما عنِتُّمْ حرِيصٌ عَلَيكُمْ} إلى آخِرِهما. وكَانَتْ الصّحُفُ التي جُمِعَ فيها القُرْآنُ عِندَ أبي بَكرٍ حتى تَوَفَّاهُ الله، ثمَّ عِندَ عُمرَ حتى تَوَفَّاهُ الله، ثمَّ عنْدَ حفْصَةَ بنت عُمرَ. وورد في روايتين أخريتين، كانت الآيتان مع أبي خُزيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ، وفي ثالثة شك الراوي، وقال مع خُزيْمَةَ أو أبي خُزيْمَةَ؛ والأرجح هو أبو خزيمة الأنصاري.(٢٩)

ويصعب علينا تخيل كم كوما احتاجه الصحابة من هذه الرقاع والأكتاف والعسب لكتابة القرآن الكريم بأكمله. وما الطريقة التي تم استخدامها لحفظها؟ هل كانت موجودة في هيئة أكوام في غرفة واحدة، يصعب فرزها وترتيبها، مع صعوبة الحصول على الأرفف، في عهد النبي، صلى الله عليه وسلم؟ أم كانت موزعة عند بعض الصحابة ليحفظوها عندهم مع أمتعتهم المحدودة؟

أما في عهد أبي بكر الصديق فتم جمع المكتوب بإملاء النبي، صلى الله عليه وسلم، في مجلد واحد. ولعل مما ساعد على ذلك هو توفر الورق، الذي لم يكن موجودا في المدينة وما حولها، سابقا. وتمت مطابقته بما يحفظه كثير من الصحابة، المعلوم هويتهم، عن النبي مباشرة، أو عن صحابي معلوم الهوية أيضا. وتم الجمع **بلجنة** كان منها أُبيّ ابن كعب، برئاسة زيد بن حارثة الذي لم ينفرد بتنفيذ المهمة. ومما يؤكد أن عملية الجمع كانت مجهودا جماعيا، وليس فرديا، قول أبي بن كعب، مثلا "أنهم جمعوا القرآن في مصاحف في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، **فكان رجال يكتبون، ويملى عليهم أبي بن كعب.** فلما انتهوا إلى هذه الآية من سورة براءة..."(٣٠)

وبعبارة أخرى، ما ورد من أن اللجنة التي كان يشرف عليها زيد لم تجد آية {لقد جاءكم رسول من أنفسكم} إلا عند أبي خزيمة ولم تجد آية {من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه} إلا عند خزيمة بن ثابت، لا يعني أن الرواية كانت آحادية. فالواضح من السياق، أي عبارات أُبَيّ وزيد، أنهم لم يجدوها **مكتوبة**، فهما كانا يذكرانها حفظا في صدزرهما.(٣١) ويضاف إلى ذلك أن عدد الذين حفظوا القرآن كله، في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، اختلفت الروايات فيه بين الأربعة والسبعة، وعند وقوع معركة الجمل وصلوا إلى السبعين.(٣٢) كما أن كثيرا من

---

٢٩) البخاري، صحيح البخاري ج٤: ١٧٢٠؛ العسقلاني، فتح ج٩: ١٣- ١٥؛

(٣٠) البخاري ج٤: ١٧٩٤-١٧٩٥، ج ٦: ٢٦٢٩؛ أحمد ج ٥: ١١٢، ١٨٨.

٣١) البخاري جزء ٤ صفحة ١٧٢٠، ١٩٠٨؛ العسقلاني، فتح ج ٩: ١٤.

(٣٢) الجزري ج٢: ٤٧٧-٤٨٥، ٥٠١-٥٠٨؛ سورة التوبة: ١٢٨، والأحزاب: ٢٣؛ البخاري ج ٣: ١٣٨٦؛ مسلم ج٤: ١٩١٤؛ الطبقات الكبرى ج٤: ٢٨٨.

الصحابة الذين يحفظون القرآن أو جزءا منه، عند جمع القرآن، كانوا متفرقين في الأمصار. وحتى ما جرى من الخصومة بين عمر ابن الخطاب وهشام بن حكيم، أو أبي وعبد الله بن مسعود لا يعني أنهما كانا ينفردان بقراءاتهما، بل يؤكد فعالية "نقاط التفتيش" سابقة الإشارة. ومن المعلوم أن زيدا لم يضطر إلى الوصول إلى جميع الصحابة الموجودين في المدينة ومن حولها، فضلا عن الذين ماتوا وعن الذين تفرقوا في البلاد. وليس هناك إلا قرآن واحد مكتوب تم جمعه في عهد الخليفة الأول، وإن كان بدون نقاط أو تشكيل. ويبدو واضحا من القصاصة التالية للكتابات القديمة للقرآن الكريم أن الخط يميل إلى ما يسمى بالخط الكوفي، وبدون نقط أو تشكيل. وقد تم جمع القرآن الكريم في السنة الحادية عشرة التي توفي فيها النبي، صلى الله عليه وسلم.

فالمخطوطة القُرآنيَّة الموجودة بِجامعة بِرْمِنغْهام، التي تعود إلى القرن الهجري، الأول تؤكد أن الأحرف العربية لم تكن مَنقوطة ولا مُشكّلة،(٣٣) وكانوا ينطقون بالألفاظ مضبوطة بحسب سليقتهم وفطرتهم العربية المتأصلة فيهم. فألسنتهم مستقيمة تنطق بالألفاظ وتركيبات اللغة العربية، من غير حاجة إلى معرفة القواعد التي تم اكتشافها لاحقا. وكان المُعوَّل عليه في قراءة القرآن هو التلقي والسماع والحفظ غيبا، فلم تكن هناك حاجة إلى النقط والتشكيل.(٣٤)

وهناك نقاش حول ما إذا كانت النقط أو علامات التشكيل معروفة أو غير معروفة، عند نسخ القرآن لتعميمه، في عهد الخليفة الراشد عثمان، والأرجح أنها لم تكن موجودة، عند نسخه. فقد أبدعها أبو الأسود الدؤلي، الذي عاش ٥٣ عاما، ومات عام ٦٩ للهجرة. وتم ذلك في عهد الخليفة الراشد علي ابن أبي طالب الذي مات عام ٤٠ للهجرة. وهناك قول بأن التنقيط حصل في عهد عبد الملك ابن مروان الذي تولى الحكم عام ٦٥ للهجرة، حيث أمر الحجاج بالعناية بهذا الموضوع، فندب الحجاج لهذه المهمة اثنين هما: نصر ابن عاصم الليثي، و يحيى ابن يعمر العدواني. ويبدو أن هذه

---

٣٣) ينبه المؤلف أن كلمة منقوطة تعنيفي الاصطلاح القديم أنها غير مشكلة لأن التشكي كان على هيئة نقاط، وأما هنا فيقصد المؤلف بالمنقوطة أي التي على أحرفها نقط تميز بينها (المعجمة) ، والمُشكّلة التي عليها علامات الحركة.

٣٤) http://www.nytimes.com/2015/07/23/world/europe/quran-fragments-university-birmingham.html?_r=0

العملية قد بدأت في عهد الخليفة الراشد الرابع، وأخذت صورتها النهائية في عهد عبد الملك، الخليفة الأموي الخامس.(٣٥)

وسواء أكانت كتابة القرآن بدون النقط والتشكيل اختيارا أو اضطرارا، فقد وفرّت هذه الكتابة الفرصة لاستيعاب جزء كبير من القراءات المختلفة المعتمدة.(٣٦) وهذا مما يؤكد أن اختلاف القراءات ليس له تأثير هام في معاني القرآن الكريم.

وهنا نلاحظ أن التواتر قد توفّر للقرآن الكريم ولقراءاته عند جمعه في مجلد واحد، وشاءت إرادة الله أن تكون الأحرف العربية غير منقوطة لتفرق مثلا، بين: الباء والتاء والياء، والنون وغير مُشكَّلة، لتحدد إعراب بعض الأسماء والأفعال القابلة للتعدد، بدون تغيير للمعنى الأساس للكلمة أو العبارة أو الجملة. ثم بدأت الكتابة بالعربية في التطور، في نهاية الخلافة الراشدة، فظهرت النقط والتشكيل على الأحرف، وأصبح من المتيسر قراءة القرآن المكتوب لمن لا يعرف العربية، ولكن يعرف أحرفها وعلامات تجويد القراءة.(٣٧)

التواتر بعد التعميم في عهد عثمان:

قدِم حُذَيْفَةَ بن اليَمَانِ على عثْمَانَ، وكان يغَازِي أَهلَ الشام في فَتح إِرْمِينِيَةَ وَأَذْرَبِيجَانَ مع أَهلِ الْعرَاقِ فَأَفزَعَ حذَيْفَةَ اخْتِلَافهُمْ فِي الْقرَاءَةِ. فقال حذَيْفَةُ لِعثْمَانَ يا أَميرَ الْمؤْمِنِينَ أَدْرِكْ هذه الْأُمَّةَ قبل أَنْ يَخْتَلِفوا في الْكتَابِ اخْتلَافَ الْيَهودِ والنَّصَارَى. فَأَرسَلَ عثْمَانُ إِلى حَفصَةَ أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصّحُفِ نَنْسَخهَا في الْمَصَاحفِ ثمَّ نَردُّهَا إِلَيْكِ. فَأَرسَلَتْ بها حَفصَةُ إِلى عثْمَانَ فأَمَرَ زَيدَ بن ثَابتٍ وَعَبدَ اللّهِ بن الزّبَيْرِ وَسَعيدَ بن العَاصِ وَعَبدَ الرحمن بن الْحَارثِ بن هشَامٍ فَنَسَخوهَا في الْمَصَاحفِ، وقال عثْمَانُ للرَّهْطِ الْقرَشِيّينَ الثَّلَاثَةِ **إِذا اخْتَلَفْتمْ أَنْتمْ وَزَيدُ بن ثَابتٍ فِي شَيءٍ من الْقرْآنِ فَاكْتبُوهُ بِلسَانِ قرَيْشٍ فَإِنَّمَا نزَلَ بِلسَانِهِمْ**. فَفَعَلوا حتى إِذا نَسَخوا الصّحُفَ في الْمَصَاحفِ ردَّ عثْمَانُ الصّحُفَ إِلى حَفصَةَ وَأَرسَلَ إِلى كل أُفُقٍ بِمصْحَفٍ ممَّا نَسَخوا **وأَمَرَ بِمَا سوَاهُ من الْقرْآنِ في كل صَحيفَةٍ أو مصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ**.(٣٨) لقد كان قرار الخليفة الثالث عند الاختلاف اعتماد لسان قريش في منتهى الحكمة، ليس فقط للسبب الذي احتج به فحسب، ولكن لأن لهجة قريش تُعد مثل اللغة الرسمية، لتفاعل اللهجات بها، أخذا وعطاء، في موسم الحج.(٣٩)

ويؤكد السيوطي القول بأن هدف الخليفة الثالث هو توحيد المسلمين على نسخة موحدة. وأما الجمع في مجلد واحد فقد قام به زيد في عهد أبي بكر الصديق. ويقول رواية عن العسقلاني أن النسخ والتعميم لم يكن عام ثلاثين، ولكن كان في سنة خمس وعشرين، أي بعد أربعة عشر عاما من وفاة النبي، صلى الله عليه وسلم. وكان عثمان يتعاهدهم فكانوا إذا تداروُوا في شيء أخّروه، **لينظروا أحدثهم عهدا بالعرضة**

---

٣٥) الزرقاني، مناهل ص ج١: ٢٥٩-٢٦٣.

٣٦) ابن الجزري، النشر ج١: ٣١؛ نقط المصاحف جزء ١ صفحة ٢؛ شاهين، كتاب تاريخ القرآن ص ١٠٥-١١٥؛ الصغير، تاريخ القرآن الكريم، الفصل الخامس.

٣٧) شاهين، كتاب تاريخ القرآن، الفصل الخامس، السيوطي، الإتقان ج٢: ١٦٦-١٧٣.

٣٨) البخاري، صحيح البخاري ج٤: ١٩٠٨.

٣٩) انظر مثلا: سالم، القراءات ص ٢٩- ٣٣، والمراجع التي اعتمد عليها.

الأخيرة، فيكتبونه على قوله. ويروي ابن أبي داود بسند صحيح أن عليّا، الخليفة الراشد الرابع، قال: لا تقولوا في عثمان إلا خيرا. فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا. قال: ما تقولون في هذه القراءة فقد بلغني أن بعضهم يقول إن قراءتي خير من قراءتك. وهذا يكاد يكون كفرا؟ قلنا: فما ترى؟ قال: **أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف**. قلنا: نِعْم ما رأيت. وعن الفرق بين ما عمله حذيفة ولجنته في عهد أبي بكر وفي عهد عثمان يقول ابن التين وغيره: الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان أن جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب جملته، لأنه لم يكن مجموعا في موضع واحد، فجمعه في صحائف، مرتبا لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبي، صلى الله عليه وسلم. وأما جمع عثمان كان لمّا كثر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرؤوه بلغاتهم على اتساع اللغات، فأدى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعض، فخشي من تفاقم الأمر في ذلك فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتبا لسوره، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش، محتجا بأنه نزل بلغتهم، وإن كان قد وُسِّع قراءته بلغة غيرهم، رفعا للحرج والمشقة في ابتداء الأمر. **فرأى أن الحاجة إلى ذلك قد انتهت فاقتصر على لغة واحدة**.(٤٠)

وسواء أكانت القراءات التي اختلف عليها الناس من القراءات المجازة العشر أم لم تكن منها، فقد جاء مصحف عثمان ليزيل الزيادات الطارئة أو التي تخرج عن العرضة الأخيرة. وهذا سبب وجيه في استبعاد بعض القراءات المحدودة التي كان بعض كبار الصحابة يقرأون بها، وأثبتها بعض المحدثين، ومنهم البخاري في صحيحيه.(٤١)

وجاءت النسخ التي تم نسخها وتعميمها على المناطق الإسلامية، في عهد عثمان ابن عفان، رضي الله عنه، فوضعت إطارا مجسدا للقراءات، فاستبعدت بعض المنتشر قبلها، وفرضت الحماية على الثابت منها بعد التوحيد. ولكن يقول بعض المختصين بأن النُّسخ التي نُسخت في عهد عثمان كانت تتضمن القراءات العشر مفرقة في النسخ التي أرسلت إلى الأمصار(٤٢) أي أن النسخ تتنوع في القراءة.

وهذا القول فيه نظر، وذلك لأنه يتعارض مع السبب الثابت الذي من أجله تم إعداد نسخ متعددة لما جمعه أبو بكر في عهده، وتعميمه على الأمصار الإسلامية. وإن وُجِد شيء من الاختلاف، غير المتعمد، فذلك نتيجة طبيعية لظروف الكتابة بالقلم والدواة وندرة الأوراق، ولكون أحد الصحابة يملي وعدد منهم يكتبون. وسواء أتمت المراجعة الجماعية أو الفردية للنسخ أو لم تتم، فهي اختلافات لا تخرج عن دائرة القراءات الثابتة، ومحدودة جدا. فالسبب صريح بأن الهدف من هذه النسخ هي قطع دابر الخلاف في القراءة، وإغلاق لأبواب الفتن التي أدى الاختلاف إليها، وليس لتأجيج هذا الخلاف بصورة رسمية.

---

٤٠) ابن الجزري، النشر ص ح١: ٢٢، ٣١؛ السيوطي، الإتقان ج١: ١٦٥- ١٦٦؛ الجديع المقدمات الأساسية.

٤١) ابن الجزري، النشر في القراءات ج١: ٨، ١٤؛ جعفر، القرآن ص ٢٠١- ٢٧٤.

٤٢) جعفر، القرآن ص ٥٤-٥٧ ؛ إسماعيل، القراءات ص ٩٤.

ويلحق بهذا أننا لسنا في حاجة إلى مساندة مصداقية القراءات العشر بقصص خيالية، قد تطعن في المصداقية، وذلك بترديد قصة ربما اخترعها معاد للإسلام ماكر، مثل القصة التي تقول بأن أحد كبار القراء كان أصما، لا يسمع الأجراس، ولكنه كان يسمع تلاوة القرآن الكريم.(٤٣)

مقياس صدق القراءة:

يقول ابن الجزري، مسندا أقوال آخرين: **كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة** التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها. بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة، أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين.(٤٤) وهو قول فيه الكثير من الصواب، مع بعض التعديلات، منها:

١. قبل تعميم المصحف الذي جُمع في عهد أبي بكر الصديق كان الاعتماد كله في مصداقية القراءة المحددة وتواتر القرآن على الحفظ غيبا وعلى نقل الثقة عن الثقة، أي من الصحابي إلى الصحابي، أو إلى التابعي المشهود له بالعدالة والضبط.
٢. بعد تعميم المصحف الموحد في عهد عثمان ابن عفان أصبح المصحف المعمم، غير المنقوط وغير المُشكّل، ولم تعد الرواية هي المعيار الوحيد للمصداقية، ولكن اشترك معها المصحف المعمم في القيام بهذه الوظيفة.
٣. جاء معيار اللهجات العربية في الدرجة الثالثة.

وشكّلت هذه المقاييس الثلاثة معايير يُحتكم إليها لإثبات نسبة القراءة المحددة إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، وليحميها من الخروج عن التعدد الثابت عنه في المراجعة الأخيرة مع جبريل، عليه السلام. فابن الجزري يقول إذا ثبتت الرواية وجب الأخذ بها وإن كانت حجتها في العربية ضعيفة. (٤٥) ومن الطبيعي أن يأتي معيار موافقة اللهجات العربية مجرد سندٍ للمعيارين السابقين، وذلك لأن اللغة كائن حي، تنمو مفرداتها بالاشتقاق وبالتبني وتتغير مدلولاتها بدرجات متفاوتة مع الزمن. وهذا، مع أن التغيُّر في اللغة العربية، هو الأقل بين اللغات، لوجود نموذج مجسم لها، يتمثل في القرآن الكريم المتواتر لفظا ومعنى، والذي يكثر استعماله بصفته النموذج الأعلى (اللغة العربية الرسمية). وتم استنتاج قواعد النحو في اللغة العربية، من الاستعمال القرآني لها، واستعمال النبي، صلى الله عليه وسلم، ومن استعمالات العرب، وعلى رأسها استعمال قريش.

اعتماد القراءات العشر:

اتضح مما سبق أن الحفظ عن ظهر غيب والذي تسنده الكتابة غير المنقوطة وغير المُشكّلة هو الوسيلة التي تم الاعتماد عليها في حفظ القرآن الكريم، سواء في

---

٤٣) لأن معدل القراءة للصفحة الواحدة من القرآن المطبوع في ٥٢٠ لا تقل عن الدقيقة والنصف لكل صفحة.
٤٤) ابن الجزري، النشر في القراءات ج١: ٩؛ إسماعيل، اقراءات ص ٥٢-٩٤.
٤٥) النشر في القراءات العشر جزء ٢ صفحة ٤٠١.

حياته، صلى الله عليه وسلم، أو بعد جمعه في مجلد واحد. وكان مجال التعدد مفتوحا في إطار اللهجات العربية، فترك فرصة للاختلاف، احتدم حوله النزاع بين بعض المسلمين. فجاء تعميم النسخة الموحدة بلهجة قريش، في عهد الخليفة الثالث فحجّم التعدد بصورة واضحة. ثم جاءت المرحلة التي تصدّى فيها العلماء المتخصصون في هذا المجال، بوسائل تُميّز بين أصناف من الاختلافات محددة، فكان منها:

١. وضع بعض القواعد للتمييز بين القراءة المعتمدة وغير المعتمدة –كما سبق بيانه.
٢. اعتماد قراءات محددة تنحصر في عشر قراءات اشتهر بها بعض القراء، وتناقلتها الأجيال المتعاقبة شفاهة بين المعلم والمتلقي. وذلك اعتمادا على المعايير الثلاثة: تواتر الرواية، موافقة أحد المصاحف العثمانية، وموافقة وجه من أوجه اللغة العربية، أي اتساق الاختلاف مع مضمون الجملة التي تقع فيها.(٤٦)
٣. تأكيد أهمية الإسناد للقراءة المحددة، وأهلية القارئ الذي يقوم بمهمة تعليم القرآن لغيره، مثل الحصول على إجازة بالقراءة المحددة أو بعدد منها.

وبهذا يثبت أن جميع آيات القرآن الكريم تم نقلها بقراءاتها المتعددة، عبر الزمان والمكان، بالتواتر عن النبي، صلى الله عليه وسلم، في صورتها المروية تلاوة والمكتوبة في النسخ التي تم توزيعها على الأمصار المختلفة في عهد الخليفة الراشد الثالث، وبالصورة التي حفظها علماء القراءات الحاصلين على الإجازة. فآيات القرآن الكريم لم يتدخل البشر في اختيار مضموناتها أو التعبير عنها. وفيما يلي رواة القراءات العشر.(٤٧)

رقم	الاسم	الولادة	الوفاة	ملاحظات
١.	نافع المدني، وهو نافع بن عبد الرحمن ابن أبي نعيم الليثي، مولى الليثي، أصله من أصفهان. ومن أشهر تلاميذه: قالون، وورش	٧٠	١٦٩	تلقى عن سبعين من التابعين، وهؤلاء عن أبي هريرة، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عيشا الذين أخذوه عن أبي بن كعب رضي الله عنه.
٢.	عبد الله بن عامر الشامي، وهو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليحصبي المكنى بأبي عمرو. ومن أبرز تلاميذه: هشام، وابن ذكوان.	٨	١١٨	أم الناس أيام عمر ابن عبد العزيز، وتلقى القراءة عن بعض الصحابة، منهم ابو الدرداء وعثمان ابن عفان
٣.	ابن كثير، وهو عبد الله ابن كثير بن عمر بن عبد الله بن ذازان بن فيروز بن هرمز المكي، ومن أبرز تلاميذه: البزي، وقنبل.	٤٥	١٢٠	وتلقى القراءة عن عبد الله بن السائب وعبد الله بن عباس، وينتهي إسناده إلى أبي بن كعب وعمر بن الخطاب، وزيد ابن ثابت.
٤.	عاصم الكوفي، وهو عاصم بن أبي		١٢٧	تلقى القراءة عن ثلاثة قرآوا على عبد

٤٦) إسماعيل، القراءات ص ٩٤.
٤٧) ابن الجزري، النشر ج : إسماعيل، القراءات ص ٦٧-٨٤.

	النجود، وقيل اسم أبيه عبد الله، وكنيته أبي النجود الكوفي. ومن أبرز تلاميذه: شعبة، وحفص.			الله ابن مسعود، وقرأ اثنان منهم على أبي بن كعب، وزيد ابن ثابت، رضي الله عنهم.
٥.	أبو جعفر المدني، وهو يزيد بن القعقاع المخزومي المدني، وكنيته أبو جعفر. ومن أبرز تلاميذه: أبو الحارث، وأبو الربيع.		١٣٠	عرض القرآن على مولاه عبد الله بن عيشا، بن أبي ربيعة، وعبد الله بن عباس، وأبي هريرة الذين تلقوه من أبي ابن كعب، وتلقاه بعضهم أيضا من زيد ابن ثابت، رضي الله عنهم.
٦.	أبو عمرو البصري، وهو زبان ابن العلاء بن عمار العريان المازني، التميمي البصري. وقيل اسمه يحيى، كان إمام البصرة، ومن أبرز تلاميذه: الدوري، والسوسي.	٧٠	١٥٤	وقرأ من بعض التابعين منهم أبو العالية الذي قرأ على عمر ابن الخطاب، وأبي بن كعب، وزيد ابن ثابت، رضي الله عنهم.
٧.	حمزة الكوفي، وهو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفي. ومن أبرز تلاميذه: خلف، وخلاد.	٨٠	١٥٦	وأدرك بعض الصحابة، وقرأ على بعض التابعين وتنتهي روايته إلى علي ابن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، رضي الله عنهم
٨.	الكسائي الكوفي، وهو علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان النحوي، وكنيته بأبي الحسن، ولقبه الكسائي. ومن أبرز تلاميذه: الليث، وحفص. والأخير تلميذ بارز لأبي عمرو، أيضا.		١٨٩	تلقى على عدد كبير من التابعين الذين يتصل سندهم إلى أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم.
٩.	خلف، وهو خلف بن هشام البزار البغدادي،. ومن أبرز تلاميذه: أبو يعقوب، وأبو الحسن.	١٥٠	٢٢٩	وهو أحد التلاميذ البارزين لحمزة الكوفي
١٠.	يعقوب البصري، وهو يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي المصري، وكنيته أبو محمد. ومن أبرز تلاميذه: رويس، وروح.		٢٥٠	وينتهي إسناده إلى أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه.

وهنا يتبادر إلى الذهن بعض الأسئلة: ما حجم الاختلاف؟ وما طبيعة القراءات العشر، وأصنافها؟

حقيقة القراءات العشر:

لقد أدت دقة علماء القراءات في إثبات الاختلافات في القراءة إلى مسألة كثر الجدل فيها، جعلت غير المختصين يتوهمون أن حجم الاختلاف كبير، من حيث الكم ومن حيث النوع. فأثارت شيئا من الظنون حول أصالة نسبة القرآن الكريم إلى الله

سبحانه وتعالى: لفظا ومعنى. كما استغلها بعض الجهلة وأعداء الإسلام للطعن في مصداقيته. وهنا تبرز بعض الأسئلة، مثل: ما حجم الكلمات والأحرف المستقلة التي تعرّضت للاختلاف مقارنة بعدد كلمات القرآن وأحرفه؟ وما طبيعة هذا الاختلاف؟

حجم الاختلافات:

يمكن الحصول على النسبة المطلوبة بطرق، ومنها تفريغ القراءات، وحصر الألفاظ التي تعرضّت للاختلاف في القراءة، ومقارنتها بعدد ألفاظ القرآن الكريم، في حدود القراءات العشر. فمثلا، إذا قمنا بعملية إحصائية باستخدام الحاسب الآلي للقراءات المعتمدة في كتاب "النشر للقراءات العشر" لابن الجزري سنجد أن الألفاظ والأحرف المستقلة (٤٨) التي تعرضّت للاختلاف في القراءة لا تصل إلى الألفي لفظة وحرف، ولنفترض أنها ١٨٥٠. وإذا عددنا الألفاظ والأحرف الموجودة في القرآن الكريم، مع حذف أرقام الآيات لوجدنا أنها تقترب من ستمائة وأربعين ألف كلمة وحرف مستقل، ولنفترض أن عددها هو ٦٣٢٠٠٠. وعند استخراج نسبة الكلمات والأحرف المستقلة التي تعرّضت للاختلاف في القراءة نجدها لا تتجاوز ٣%. وحتى إذا اعتمدنا طريقة أخرى في العد بحذف البسملات فإن النسبة لا تتجاوز ٤%.

طبيعة الاختلافات وأصنافها: (٤٩)

يقول ابن الجزري أن الرازي حاول تصنيف القراءات فقال إن الكلام لا يخرج اختلافه عن سبعة أوجه: ١) اختلاف الأسماء من الإفراد والتثنية، والجمع، والتذكير والتأنيث، والمبالغة وغيرها. ٢) اختلاف تصريف الأفعال وما يسند إليه من نحو الماضي والمضارع والأمر والإسناد إلى المذكر والمؤنث والمتكلم والمخاطب والفاعل والمفعول به.٣) وجوه الإعراب، ٤) الزيادة والنقص، ٥) التقديم والتأخير٦) القلب والإبدال في كلمة بأخرى وفي حرف بآخر، ٧) اختلاف اللغات من فتح وإمالة وترقيق وتفخيم وتحقيق وتسهيل وإدغام وإظهار ونحو ذلك.

ويضيف بأن **ابن قتيبة** قسّم وجوه الاختلاف إلى سبعة: ١) في الإعراب بما لا يزيل صورتها في الخط ولا يغير معناها، ٢) الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها، ٣) الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها ولا يزيل صورتها، ٤) أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها ومعناها، ٥) أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتاب ولا يغير معناها، ٦) أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير. (٧) أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان.

ويعلق ابن الجزري بأن التقسيمات السابقة غير شاملة. ويضيف بأن الاختلافات تخلوا من التضاد والتناقض، حتى من منظور الأحكام الشرعية التي قسمها إلى سبعة أقسام. وأما من حيث أشكالها ومعانيها فإنها تنقسم إلى: ١) ما اختلف

---

٤٨) الكلمة قد تكون اسما أو فعلا، والحرف المستقل، مثل "لا" الذي يفصل بينه وبين ما قبله وما بعده فراغ space.

٤٩) ابن الجزري، النشر ج١: ٢٧- ٣١.

لفظه واتفق معناه، سواء أكان الاختلاف اختلاف كل أو جزء، ٢) ما اختلف لفظه ومعناه، ٣) ما اتحد لفظه ومعناه مما يتنوع صفة النطق به.

الاختلافات الواقعية في القراءات:

وإذا جئنا للاختلافات الواقعية بين القراءات فسنجد أن أدنى صورة للاختلاف تتمثل في "الإمالة"، أي إمالة الحركة عند قراءة بعض الآيات، ومن أمثلتها قراءة "مجراها"، في الرسم العثماني للمصحف، حيث تنطق وكأنها مكتوبة "مجريها"؛ ونجد أن أقصى صورة له لا تتجاوز استبدال لفظة بلفظة أخرى، بمعناها، وليس لها إلا مثال واحد هو كلمة: "تبينوا"، حيث استبدلت في إحدى القراءات ب "تثبتوا".(٥٠) ويمكن تصنيف الاختلافات الرئيسة في القراءة إلى ثلاثة أقسام هي:

١. الاختلاف المسموح به بسبب غياب النقاط على الأحرف، مثل: ت، ي، ن التي تؤثر في التأنيث والتذكير، والغياب والحضور.
٢. الاختلاف المسموح به لغياب حركات التشكيل، مثل الفتحة، والضمة، والكسرة.
٣. زيادة حرف أو كلمة، أو تبديل حرف في الكلمة أو تبديل الكلمة بأخرى. ويلاحظ أن بعض الزيادات تندرج تحت غياب التشكيل، مثل نطق الياء وعدمه.

وفي الجدول التالي الأصناف الرئيسة للقراءات، ونماذج من الأنواع الفرعية لها.

تقسيم فرعي	القراءات	اختلاف القراءة	اختلاف المعنى	٣% =١٠٠
الإمالة	{في مِجَراها} / مَجْراها	إمالة/بدون	لا اختلاف	١٠%
نسبة الألفاظ التي أجاز غياب علامات التشكيل الاختلاف في قراءتها				٤٢%
	{منزَل من ربك / منزّل	شدة/بدون	لا اختلاف	
	{والله ربّنا}/ ربَّنا	فتح/كسر	لا اختلاف	
	{ضَيق} / ضِيق	تسكين/ فتح...	لا اختلاف	
	{لله الحقِ}/ الحقُ	ضم/مسر	لا اختلاف	

نسبة الألفاظ التي أجاز غياب نقط الحروف الاختلاف في قراءتها				١٣%
	{منسِكاً}/ منسَكا	كسر/فتح	لا اختلاف	
	{لا يَصعقون} / يُصعقون	فتح/ضم	معلوم/ مجهول،(ضمير)	
	{والذين يدعون} / تدعون	ي/ت	هم/ أنتم، (ضمير)	
	{نسير الجبال} / تُسيَر الجبالُ	كسر/ضم	نحن/ مجهول، (ضمير)	

٥٠) سورة هود: ٤١.

	نسبة الألفاظ التي تعرضت للزيادة والتبديل			٣٥%
	{سوف يؤتيهم} / نؤتيهم	ي/ن	نحن/ غائب	
زيادة	{وتعمل صالحاً نؤتها}/ نؤته	زيادة هـ	تذكير/ تأنيث	
زيادة	{أن صلواتك} / أن صلاتَك	زيادة و	جمع/إفراد	
زيادة	{من يرتد} يرتدِد	زيادة د	لا اختلاف	
زيادة	{وللدار الآخرة} ولدار الآخرةِ	زيادة ل	لا اختلاف	
زيادة	{خيراً منها} منهما	زيادة م	إفراد/تثنية	
زيادة	{يكذبونك} / يكذِّبوك	زيادة ن	لا اختلاف	
زيادة	{وما عملته أيديهم}/ وما عملت	زيادة هـ	لا اختلاف	
زيادة	{يدي إليك} / يديَ	فتح/تسكين	لا اختلاف	
تبديل	{**و**توكل على العزيز}/ **ف**توكل	و / ف	لا اختلاف	
تبديل	{المصيطرون}/ المسيطرون	ص/ س	لا اختلاف	
تبديل	{بكل ساحر} / سحّار	موقع الألف	صيغة مبالغة	
زيادة	{رسالته} / رسالاته	زيادة ألف	مفرد/جمع	
زيادة	{الأوليان}/ الأوّلِينَ	زيادة ألف	مثنى/ جمع	
زيادة	{تجري تحتها} / **من** تحتِها	زيادة "من"	لا اختلاف	
زيادة	{فإن الله **هو** الغني}/ الله الغني	زيادة "هو"	لا اختلاف (لفظة واحدة)	
تبديل	{فتبينوا} /فتثبتوا.	تغيير كلمة	لا اختلاف (لفظة واحدة)	
تبديل	{لعناً كبيراً} / كثيرا	تغيير كلمة	اختلاف نسبي (لفظة واحدة)	
تبديل	{لنثوينهم} / لنبوءنهم ([٥١])	تغيير كلمة	اختلاف نسبي (لفظة واحدة)	
تبديل	{لا أيمان لهم} / إيمان	فتح/ كسر	اختلاف نسبي)(لفظة واحدة)	
	المجموع الكلي			١٠٠%

خلاصة القول في القراءات:

لا يجادل مسلم بحكمة القرار الذي اتخذه خليفة المسلمين الراشد، عثمان بن عفان، بتوحيد قراءة القرآن الكريم، بعد أن زالت الحاجة إلى التيسير، لإزالة فتنة الاختلاف بين المسلمين في القراءة. فالقرآن هو المصدر الأساس للتشريعات الإسلامية. ولا يشك مسلم، أيضا، في حكمة قراره، اعتماد العرضة الأخيرة على جبريل، عليه السلام، واعتماد لهجة قريش، عند إعداد النسخ التي تم تعميمها على الأمصار الإسلامية. فقد نزل القرآن بلهجة قريش التي كانت تتفاعل لهجتها مع اللهجات العربية الأخرى بصورة مستمرة. فإلى قريش يقصد الحجيج من القبائل العربية ذات اللهجات المختلفة.

[٥١]) كلمة لنثوينهم تعني نجعلهم يقيموا، ولنبوءنهم تعني ننزلهم

ولا يشك مسلم، بأن الخليفة الراشد عثمان كان خليفة للمسلمين بجدارة، ولا يشك مسلم أن الله أمر بطاعة أولي الأمر مع طاعته تعالى، وطاعة رسوله. يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا.} ويقول تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا }(٥٢).

وهناك اتفاق بين المختصين بأنه إنما أذن الله بقراءات متعددة لبعض ألفاظ القرآن رخصة منه تعالى، ورحمة بعباده، ولاسيما في غياب وسائل تسجيل القراءة إلا بالحفظ غيبا وصعوبة توحيد النطق في العصر الذي تسيطر فيه الأمية بصورة واضحة.

كما شاءت حكمة الله أن تفتقد الكتابة بالأحرف العربية، في ذلك العصر، إلى النقط وعلامات التشكيل التي تفرق بين أصوات بعض الأحرف، وطريقة إعراب بعض العبارات والجمل.

وعند اختراع النقط وعلامات التشكيل، في أواخر عصر الخلافة الراشدة، تم الاتفاق، ضمنيا، على أن المصحف العثماني الأم الموجود بين أيدي المسلمين لا يخرج عن القراءات المجازة، ويمثل أمر الخليفة الراشد الثالث. وبعد تقدم وسائل التسجيل والاتصال السمعية عن طريق الإنترنت، وأجهزة الجوال المتنوعة، انتشرت تسجيلات القرآن الكريم وتوفّرت بصورة مذهلة، فأصبحت في متناول يد ملايين البشر في كل مكان. كما أصبح من الطبيعي التفريق بين اللغة العربية الرسمية التي تسندها لغة القرآن واللهجات العربية المحلية، لانتشار التعليم الرسمي، في البلاد العربية. فمثلا هناك فرق واضح بين قراءة بعض الكلمات ب"الإمالة" وبين الطريقة التي يتحدث بها المسلم بالعربية، ويلقي بها محاضراته أو دروسه أو خطبه بها.

والسؤال: إذا أردنا توحيد نطق الألفاظ العربية، أي القرارين أقرب إلى الصواب؟

١ – تطويع نطق القرآن لنطق اللهجات؟

٢ – تطويع نطق اللهجات لتلاوة القرآن على الأقل –على الأقل- عند تلاوته؟

فانطلاقا من الحقائق السابقة، يمكن القول بأن الأفضل في عصرنا إلى يوم الدين التركيز على المصحف العثماني، توحيدا لكلمة المسلمين، وتقليلا من أسباب الخلاف بينهم. وبعبارة أخرى، أقول: هناك قراءة هي رمز لوحدة كلمة المسلمين اعتمدها أحد الخلفاء الراشدين، وعلى المسلمين الالتزام بتعلمها والقراءة بها، ما أمكن؛ وترك تعلم القراءات الأخرى للمختصين في القراءات.

(٥١) سورة النساء: ٥٩؛ آل عمران: ٣٢.

٢٩ ذو الحجة ١٤٣٨هـ

٥٢) سورة النساء: ٥٩؛ آل عمران: ٣٢.